الباب الخامس:
في الشبهات المتعلقة بمواطن المشروع

الفصل الأول: الانطلاقة الفكرية

الفصل الثاني: الانطلاقة العسكرية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول:
الإنطلاقة الفكريّة

ويشتمل هذا الفصل على نوعين من الشبهات، الأول ما يتعلق منها بالناس، والثاني ما يتعلق منها بالأرض، وسنجعل كل واحدة منهما في مبحث مستقل.

المبحث الأول:
فيما يتعلق بالناس.

قالوا: إن تغيير الواقع في لبنان أو غيره أمر مستحيل، لأن من الصعوبة بمكان أن تجد مجموعة من الناس على استعداد للعمل معاً في تحقيق غاية واحدة مهما صغرت فكيف بالعمل لتحقيق هذا المشروع.

والجواب: أن الواقع لا يمكن تغييره إلا ببذل الجهد المطلوب لمثله، وإذا كان الهدف كبيراً أو مشروعاً والوسيلة مشروعة فإن بذل ما هو في مقدور حامل الفكرة والمؤيدين لها يؤدي إلى الوصول إلى الهدف لأن الله تعالى يعين عند صدق النية من يسعون حقاً لتحقيق غاية دينية مشروعة ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**﴾[1]، ﴿**إن الله يدافع عن الذين آمنوا**﴾[2]،

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
(٢) سورة الحج، الآية: ٣٨.

﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[1].

سنة الله تعالى في انتصار الحق:

وقد جرت سنة الله تعالى في أن الحق لا ينتصر بنفسه وإنما يحتاج إلى أن يبذل الأشخاص ما يستطيعون من جهد ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[2] فإذا وجد رجال يحملونه ويدافعون عنه كان التوفيق والنصر حليفهم ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق﴾[3]، ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾[4].

وقد بين تعالى هذه الحقيقة وهي أنه يبلو الناس بعضهم ببعض لإحقاق الحق في الأرض فيكلف أهل الخير بمواجهة أهل الشر لا لأنه في حاجة إلى جهودهم ولكن ليمضي قانون الإبتلاء الرباني في تحميل الإنسان الأمانة الشرعية التي أبت السموات والأرض والجبال حملها وأشفقت منها فقال تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾[5]، ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتاكم﴾[6]، ﴿فإن ينشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور﴾[7].

فهذه هي سنة الله تعالى الشرعية في تغيير الحال وهي مطابقة لسنة الله تعالى الكونية، فإن الجائع أو العطشان لا يمكن أن يشبع أو يرتوي ما لم يبذل

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨١.
(٥) سورة السجدة، الآية: ١٣.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٣٥.
(٧) سورة الشورى، الآية: ٢٤.

جهده ويمد يده لتناول الطعام أو الشراب، وإن بقي مائة سنة فلا بد من بذل الجهد في تحقيق أي هدف في هذه الحياة المنضبطة بسنن الله تعالى الشرعية والكونية، وقديماً قال الشاعر:

لا تحسبن المجـد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجـد حتى تلعق الصبرا

وقال آخر:

لأستسهلنّ الـصعـب أو ادرك المـنى فمـا انقـادت الآمـال إلا لصـابـر

وقال ثالث:

وإذا كـانـت الـنـفـوس كـبـاراً تـعبـت في مـرامـهـا الأجسـام

وقد قال تعالى: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بـأنفسهم**﴾[1]. ولهذا فقد عاب الله تعالى على قوم ادعوا إرادة الخير ثم لم يتخذوا من أجله الإجراءات العملية فقال تعالى: ﴿**ولو أرادوا الخروج لأعـدّوا له عـدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين**﴾[2].

فعندما يكون الثبات على المبدأ مع وضوح الطرح والرؤية مقروناً بالصدق والتوكل على الله فإن ذلك سوف يؤثر في الناس فيتفاعلون معه ويؤيدونه ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**﴾[3].

ولا شك أن الإنطلاقة الأولى هي الأصعب والأتعب لأنها مرحلة تأسيس العمل وترسيخ دعائمه.

وكلما كانت الفكرة معاكسة لتيار المفاهيم المطروحة على الساحة ـ وما أكثرها وهي في أغلبها جزئية التصور أو مثالية الطرح ـ كلما واجهت تباطؤاً من العامة من الناس وربما معارضة، ولكن هذه المعارضة من العامة من الناس غير المنظمين في حركات وأحزاب إسلامية لا تلبث أن تزول لتتحول إلى التأييد

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٦.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

والدعم بقدر ما يكون الطرح واقعياً وصحيحاً يضع النقاط على الحروف بإيجاده الحلول لما يعانيه الناس من مشاكل على الصعيد الذي يتضمنه ذلك الطرح.

أثر الصراع الفكري في استجابة الشعور الفطري:

إن الصراع الفكري الذي سينشأ عن طرح هذا المشروع بين المؤيدين والمعارضين سيتيح الفرصة للعامة من الناس كي يتحولوا إلى حكم وشاهد على مدى صحة الطرح وسلامته، وقد قيل: ألسنة الخلق أقلام الحق، وفي الحديث: «أنتم شهداء الله في الأرض»[1]، وذلك أن جنازة مرت بين يدي النبي ﷺ فأثنى الناس على صاحبها خيراً فقال ﷺ: وجبت، أي الجنة، ومرت أخرى فأثنوا عليها شراً، فقال ﷺ: وجبت، أي النار، ثم قال: أنتم شهداء الله في الأرض، وذلك لاتحاد الفطرة والدين في مصدريهما وهو الله تعالى: ﴿**ألاله الخلق والأمر**﴾[2]، ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم**﴾[3].

محل ذلك:

ما لم تتشوه هذه الفطرة في نفوس الناس بالتزوير والتمويه.

ومن هنا يسعى المختلفون لتشويه حقيقة طرح المخالف عبر إثارة الشكوك في شخصه أو في طرحه، لكسب التأييد من الأكثر من الناس لإسكات الطرح أو تمييعه عبر التمويه والتزوير وربما التحذير.

وعند ذلك تضيع الحقيقة في أعين الناس وتحتاج لتعريف الناس بها إلى البيان والحجة والثبات عليها حتى يظهر الحق ويعرف الناس الحقيقة عبر ذلك الصراع الفكري الذي سيظهره الله تعالى للناس بعد الثبات بصورة حتمية: ﴿**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**﴾[3]، ﴿**بل نقذف**

---

(١) رواه مسلم، في صحيحه كتاب الجنائز باب فيمن يثنى عليه بخير أو شر. انظر مختصر المنذري جـ ١، ص ١٣١ رقم الحديث ٤٨٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٤) سورة الرعد، الآية: ١٧.

بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾[1].

وإن استعراض سيرة رسول الله ﷺ ليقود إلى هذه الحقيقة، فقد بدأ دعوته غريباً بها في قومه حين زورت قريش حقيقتها على الناس، لكن ثباته عليها أدى إلى تغيير المعادلات على الأرض فانتصر الحق وأهله ودخل الناس في دين الله تعالى أفواجاً بعد أن حاربوه **﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾**[2].

القاعدة في ذلك؛

هي إن العبرة للنص أو للفهم المعتمد عليه ولا اعتبار بكثرة المخالفين له لأنه كما قال تعالى: **﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾**[3] لخضوعهم لشهواتهم وأهوائهم التي يحركها فيهم الشيطان الرجيم.

وفي حال عدم وجود النص أو الفهم المعتمد عليه فالعبرة للكثرة من المؤمنين لأنها تكون معتمدة على الفطرة فيما ذهبت إليه، والفطرة موافقة للحق والدين قبل أن يعتريها التزوير، وقد قال تعالى: **﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾**[4].

ومن هنا قرر أبو بكر الدخول في مواجهة المرتدين رغم كثرة المعارضين له من الصحابة في بادىء الأمر لأنه كان معتمداً على النص في قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن هم فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله﴾[5]، والزكاة حق المال كما الصلاة حق النفس، ولذلك قاتلهم أبو بكر

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.
(٢) سورة النصر.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٣.
(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان من صحيحه. انظر مختصر المنذري جـ ١، ص ٨ رقم الحديث ٥ عن عمر بن الخطاب مرفوعاً.

وأيده الصحابة بعد ذلك فيما ذهب إليه.

ومن هنا أيضاً اختار رسول الله ﷺ رأي الأكثر من الصحابة يوم أحد حيث ذهبوا إلى اختيار مواجهة قريش خارج المدينة عند جبل أحد.

وقد عمل أصحابه بعده بهذا المبدأ حيث أمر عمر بن الخطاب رجال الشورى الستة الذين عينهم لاختيار خليفة من بعده أن يعملوا برأي الأكثرية فيهم، وعدم السماح للمعارضة في ذلك حفاظاً على وحدة الأمة، لأنه لا نص على تعيين شخص الخليفة لديه، فكان الاعتبار لرأي الأكثرية المعتبرة لأن هؤلاء الستة هم نخبة الصحابة فليس للشيطان حظ في اختياراتهم وآرائهم بخلاف الأكثرية المطلقة في العامة من الناس حيث يتعرضون للتزوير والتمويه من شياطين الإنس والجن عند وجود الموجب لذلك كما حصل في مكة بشأن محمد ﷺ قبل البعثة فقد كان يعرف فيهم بالصادق الأمين بينما أصبح بعد البعثة يوصف بالكاذب والشاعر والكاهن والمجنون لوجود عامل التزوير في نفوس زعماء قريش وهو الخوف على مواقعهم القيادية ومصالحهم الشخصية بعد البعثة وانتفائه قبلها.

المبحث الثاني:
فيما يتعلق بالأرض

قالوا: إن فكرة توحيد الأمة يجب أن تنطلق من الدول العربية الغنية بالمال وبالرجال وبالعلماء ليكون لديهم القدرة على استيعاب المشروع وتغطيته المادية والمعنوية.

والجواب: أنه لا مانع من أن تنطلق الفكرة من بلد ويكون مركز الثقل فيها ومحور تطبيقها في بلد آخر، فقد انطلقت الدعوة الإسلامية في مكة أولاً، ولما كان المؤيدون قلة في العدد بالإضافة إلى الضغوط المادية والمعنوية الهائلة التي حالت دون البقاء في مكة حتى تحولت الدعوة إلى المدينة المنورة حيث العدد الوفير والأنصار الأوفياء انطلقت الدعوة من المدينة التي أصبحت هي محور الدعوة ومركز الثقل فيها.

فلم يكن عدم توفر الظروف المادية والمعنوية للدعـوة في مكة سبباً في توقف النشاط والعمل من أجل تحقيقها.

وما دام أن مردود هذه الفكرة عائداً إلى الأمة الإسلامية بعمومها فلا ضير أن تبدأ في بلد من بلدان الأمة وتنمو في بلد آخر وتتركز وتتمحور في ثالث، والفكرة ليست إلا تذكيراً في النهاية للمسلمين بما يعرفون في أي بلد كانوا.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني:
الإنطلاقة العسكرية

قالوا: إن تطبيق وحدة الولاء في الأمة على الأرض يحتاج إلى قوة عسكرية ونحن في لبنان قليلون في العدد والعدة وبالتالي فإن فرض وحدة الأمة انطلاقاً من لبنان أمر غير منطقي ولا معقول كما يرى المراقبون للأحداث المحلية والدولية.

والجواب: أن الفكرة في توحيد الأمة لا تحتاج إلى قوة عسكرية لأن لدينا من القوة الفكرية والبيانية في الأمة ما يغني عن استخدام القوة العسكرية.

وذلك أن المسلمين جميعاً في كل مكان في الأرض يؤمنون بأن الكتاب والسنة هما الميزان الذي تركه لنا رسول الله ﷺ لنرجع إليه عند الاختلاف فلا تضل بنا الأهواء والآراء كما قال ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي»[1]، وهذا هو المقصود في قوله تعالى: **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾**[2]، **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾**[3].

---

(١) قاله النبي ﷺ في خطبة الوداع. رواه الحاكم عن أبي هريرة، قال صحيح الإسناد وله أصل في الصحيح. انظر الترغيب والترهيب جـ ١، ص ٨٠ رقم ٦، باب الترغيب في اتباع الكتاب والسنة. ورواه ملك في الموطأ بلاغاً. انظر جمع الفوائد جـ ١، ص ٢٧ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة رقم ١٢٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

وفي الحديث: «أما إني أوتيت القرآن ومثله معه»[1]، **﴿ومن أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله﴾**[2] مصداقاً لقوله تعالى: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾**[3].

تحريك الفطرة البشرية يغني عن استخدام القوة العسكرية:

وإن هذا الأمر المركوز في نفوس المسلمين ليكفي لتحريكهم من أجل تأييد مشروع وحدة الولاء أن نذكرهم بالنصوص الشرعية الواردة فيه ليتحولوا مع الإخلاص والجدّ في التذكير به إلى مؤيدين له وبالتالي يصبحون قاعدة عريضة للقمة التي نسعى لإيجادها.

فنحن لسنا في حاجة إلى جهاز عسكري لتحقيق هذا المشروع لأنه عمل فكري يتعامل مع الواقع في كل بلد إسلامي من خلال جهاز الإفتاء فيه، فهو عمل قانوني مسالم من الجهة العسكرية، وإن كان سينشأ عنه صراع فكري بين المنظمين وغير المنظمين في بادىء الأمر، لكنه لن يلبث بعد توضيحه بالأسلوب الحكيم والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن أن يتحول الأكثرية إلى مؤيدين له لأنه ينطلق من الواقع ولا يحلق في الخيال، ولأنه يراعي القاعدة الشرعية في التكليف في قوله تعالى: **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾**[4].

وهذا شأن المبادىء والمشاريع حين تطرح لأول وهلة فإنها تجد معارضة من أحد صنفين من الناس.

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي. انظر جمع الفوائد جـ١، ص٢٨. كتاب الإعتصام رقم الحديث ١٢٨ ولم يتعقبه المعلق شيء.

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة. باب طاعة الإمام. انظر مختصر المنذري جـ٢، ص٩٢ رقم الحديث ١٢٢٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

الصنف الأول:

جاهل بحقيقتها، وهذا يجري تعليمه بالأساليب المختلفة حتى يدرك المعاني الصحيحة له.

الصنف الثاني:

متجاهل لها، والذي يحمله على ذلك هو خوفه على مكاسبه ومصالحه، وأمثال هؤلاء يكونون عادة في سدة الوجاهة والقيادة على مختلف المستويات، ظناً منهم بأن وجاهتهم ستذهب عليهم في هذا المشروع.

وعندما تظهر الحقيقة وتنتشر في الناس ويصبح المؤيدون لها من الناس من الكثرة بحيث تطغى على المعارضين، يتحول هؤلاء المعارضون إلى مؤيدين لئلا يجرفهم التيار أو إلى مغادرين لتلك الأرض إذا حملهم الكبر على رفض الإنصياع للمشروع إذ لم تصنعه عقولهم.

لذلك فنحن لسنا في حاجة إلى العمل العسكري حتى ينظر إلى لبنان كبلد غير مؤهل لأن يكون نقطة انطلاق هذا المشروع في العالم الإسلامي.

والقاعدة تقول: إن الأمور مرهونة بأوقاتها وظروفها، والحكمة تقتضى مراعاة ظروف كل مرحلة بحسبها، وقديماً قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني.

وهذا المعنى مستلهم من قول الله تعالى؛ ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**﴾[1] فمراعاة الحكمة ـ وهي وضع الشيء في موضعه ـ عمدة النجاح.

فنحن نأخذ مواقفنا من قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ لا من أقوال المراقبين للأحداث دوليين كانوا أو محليين فقد قال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم ما آن

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي﴾[1].

والله تعالى يقول: **﴿ومن أحسن من الله حكما﴾**[2]، **﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾**[3]، **﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾**[4]، **﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾**[5]، **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾**[6].

وكفى بالقرآن موجهاً ومرشداً للحق ولأساليب الدعوة إليه والنجاح في عرضه **﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾**[7].

---

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد وله أصل في الصحيح كما في الترغيب والترهيب جـ ١، ص ٨٠ رقم الحديث ٦ ورواه مالك. انظر جمع الفوائد جـ ١، ص ٢٧ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة رقم ١٢٤، وقد سبق تخريجه قريباً.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٧.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٢.

(٥) سورة النور، الآية: ٥٤.

(٦) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٩.

obeikandl.com